

بسم الله الرحمن الرحيم

لقاء مع الفطرة

الدكتور عبد الوهاب زاهد حق

مفتي كوريا

14 ذي القعدة 1427

2006 / 12 / 6

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله الذي وفقني لكل خير وهداني للإيمان به سبحانه ،
 وغرس في قلبي يقينا وتصديقاً برسول الله الخاتم صلوات الله عليه
 وسلامه المنزل عليه ال5رآن جملة وتفصيلاً ونشهد أن لا إله إلا
 الله وحجده لا شريك له ونشهد أن محمداً عبده ورسوله ورضي الله
 عن أهله الطاهرين وأصحابه الغر المحجلين وعن التابعين لهم
 بإحسان إلى يوم الدين أما بعد : فإني أقدم

لقاء مع الفطرة .

من خصائص الفطرة الإيمانية ، التي فطر الله الإنسان عليها ،
 دفع الإنسان لاستجابة ندائها ، إذا ما أثير فيه البحث والتفكير ،
 في وجود الله .

وقد اعتبر علماء النفس الشعور الإيماني عند الإنسان ، أحد
 أبعاد الروح الإنسانية ، وأثبتوا أن المولود يولد صفحة بيضاء
 نقية من أي لون . كما ذكرنا آنفاً حديث رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الصحيح الذي قال فيه (مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ
) .

وقد ثبت في علم النفس : أن سن البلوغ عند الطفل تحدث فيه
 فزّة عنيفة وقوية نحو الدين ، وفي هذا السن يبحث الشاب
 الناشئ عن حقيقة وجود الله .

وهذا يدل على أن الفطرة في داخله تدفعه للبحث والتنقيب . وأما
 الكافر أو المشرك ، ابتداءً لا يريد الكفر ولا الشرك ، ولكن الجهل
 طمس على تفكيره وعقله ، وأضله الطريق الموصلة إلى معرفة
 وجود الله ..

فإذا وجد المرشد الصالح المؤمن ، فاز بغاية الوصول إلى ربه وخالقه ، وإذا وجد المرشد الضال الضائع ، زاده ضلالاً ، لأنه كيف يهديه ويرشده ، وهو ضالٌّ ، جاهل الطريق ، وفاقد الهدى .

وذات يوم اجتمع لفيف من الشباب لديّ ، وقد أضلهم ، من أضله غيره ، و اكتظت الغرفة بهم .
 وطلبوا المناظرة في عقيدة الإيمان بوجود الله ، واشترطوا أن تكون المناقشة ضمن العقل والعلم ، واشترطوا عدم الإستدلال بالقرآن أو بقول رسول ..

وقالوا : نحن لا نؤمن بإله ولا رسول ، ولا قرآن ولا إنجيل ولا أي كتاب سماوي ، بل نحن نؤمن بالمادة والحياة طبيعة .

السؤال الأول :

قال أستاذهم : نريد أن نرى الله بأعيننا ؟ .

بدأتُ في نفسي قائلاً :
 (بسم الله الرحمن الرحيم)
 (وبالله المستعان ، وهو الهادي للحق والرشاد)

الجواب : فقلت سائلاً : هل تؤمن بوجود الله ؟ .

قال : نحن لا نؤمن بوجود أي إله ، ولا نؤمن بشيء لا نراه .
 وكل شيء في هذا الوجود حدث صدفة ، دون موجد له .

فقلت : إذا كنت لا تؤمن بوجود الله ، فكيف تطلب رؤية غير الموجود ، ولهذا فإنه يجب علينا ، قبل أن نبحث موضوع رؤية الله ، علينا أولاً أن نبحث موضوع وجوده سبحانه ، فإذا ثبت لنا وجوده سبحانه ، انتقلنا إلى بحث موضوع رؤيته سبحانه ، وليس من المنطق ، أن نرى غير الموجود . . .

قال نعم :

ثم توجهت للمجتمعين ، وكان بيدي مفاتيح حديدية ، عرضتها على السائل قائلاً : لو قال رجل : إن هذه المفاتيح الحديدية وجدت بنفسها هكذا كما نراها ، على شكلها بدون صانع صنعها ، أو آلة حفرتها وثقبتها ، بل وجدت هكذا فماذا تقول له : ؟

قال : بلا شك هذا افتراض مرفوض وغير مقبول ..

قلت : لو أصر على رأيه ، ولم يأتِ بدليل على دعواه .
ماذا تقول عنه ؟ .

قال : هذا لا يتفق مع العقل ، لأنه لا يوجد شيء بدون موجد ، كما لا يوجد مصنوع بدون صانع .

قلت : إنك ترى كأساً ما ، فتقول : إن الكأس موجود ، وللأس صانع ، فقد أمنت بوجود صانع للكأس يقيناً ، علماً أنك لم تر الصانع ، فقد اهتديت إليه بعقلك ، لأنه لا يمكن للكأس أن يصنع نفسه ، وعرفت صانع الكأس برويتك للكأس ، والكأس هو أثر دال على وجود صانع له .

ثم قلت : فما هو رأي العقل عندك ، في هذه السموات وما فيها من مجرات وأفلاك ، وما فيها من نظام ، وهذه الأرض وما فيها من موجودات ، وهذه البحار وما فيها من عجائب ، ألهما صانع وموجد أوجدها وصنعها . ؟

قال : الطبيعة أوجدت نفسها ، نتيجة الانفجار باصطدام السدم .

قلت : إن فرضية السدم عقيمة ، مرفوضة علمياً ، والانفجار لا يأتي إلا بالفوضى ، ولا يمكن أن نتوقع نتيجة الانفجار نظاماً ، مهما كان ذلك النظام بسيطاً ، ولو فرضنا أن كمية من الديناميت ، وضعت في وسط جبل ، وتم تفجيرها ، هل نتوقع أن نجد منزلاً أنيقاً من حجارة ذلك الجبل ، أم نجد حجارة مبعثرة ؟ .
ولو وضعنا المتفجر وسط شجرة ضخمة كبيرة وفجرناها ، هل نتوقع وجود مقاعد و طاولات منقوشة ومزخرفة ، نتيجة ذلك الانفجار ؟ ، أم نجد قطع خشبية مبعثرة هنا وهناك من أجزاء تلك الشجرة ؟ .

قال : لا نجد منزلاً ولا مقاعد ، بل نجد العشوائية ، ولا نظام ولا هندسة .

قلت : إذا كان ما قلت صحيحاً ، فكيف تؤمن أن مجرد انفجار حدث بسدم غازية . نظم هذا الكون ، بأفلاكه وكواكبه ، ومجراته ؟ وإذا اعترفت بمنظم له ، فمن هو هذا المنظم ؟ .
ثم من أوجد ما في السموات والأرض من عجائب ، ومن أوجد أصل السدم الغازية ، ومن أوجد الخلية الأولى . . ؟

وأما دارون الذي تعتمدون على أقواله ، فقد مسح الله عقله إلى قرد ، فاعتقد أن أصله هو وأمثاله قرد ، ثم كان طبيباً بيطرياً ، فاشلاً في حياته العلمية ، جاهلاً بما في هذا الكون العظيم .

قال : خلاصة فرضيته ، بأن أصل الإنسان قرد ، فقد نقض نفسه بنفسه ، وأنكر عليه أهل العلم والتنقيب ، ورفضت فرضيته في الأوساط العلمية ، وثبت علمياً بعد تجارب كثيرة فشلها ، فلا يستدل بها في المجال العلمي ، وتبين أن هناك ثغرة كبيرة في تكوين كل من الحيوان والإنسان ، وعثروا على اختلاف في تركيب جسم الإنسان والقرد ،

وأما وجود تقارب في تشابه الصورة ، هذا لا يعني أن الإنسان منبثق من أصل قرد ، بل يدل هذا على وحدة الخالق لهما ، ثم نجد علمياً أن كثيراً من الحيوانات ، تختلف فيما بينها في تركيبها التكويني ، فكثير من الحيوانات ، لا تقبل عملية التناسل ، إذا اختلف النوع ، وقد أقيمت تجارب ، علمية في تلقيح أنثى القرد بماء ذكر الإنسان ، وبالعكس ، فلم يتم التلقيح في الجنسين .
الحقيقة أن الله خلق الحيوان حيواناً ، والإنسان إنساناً ، وسخر للإنسان كل ما في الكون .

فقال : وبعد تفكير عميق آمنت بأن هناك موجد وخالق ، ولكني كيف أو من بشيء لا أراه .. ؟

فقلت : أنت تغالط نفسك والحقيقة .

قال : كيف . ؟

قلت : أنت وجميع العالم وأهل العلم يؤمنون بأشياء كثيرة لا يرونها , وهي حقيقة موجودة نحس ونشعر بها ، وأنت ممن يؤمن بوجودها .

قال : كيف نحن لا نؤمن إلا بشيء نراه . . ؟ ...

قلت : هل ترى التيار الكهربائي داخل السلك , ؟

قال : لا .

قلت : هل تعتقد بوجوده أم لا ؟

قال : نعم أعتقد بوجوده .

قلت : كيف تؤمن بشيء لا تراه . ؟

قلت : ضوء المصباح ، والحرارة والبرودة يدلنا على وجوده ، ثم يمكن لنا رؤية النترول الموجود في التيار الكهربائي بواسطة المكبرات والمجاهر الكبيرة . و هو ضمن قدرتنا الإنسانية , و يمكن لنا الوصول إليه بواسطة الآلة , ولكن هناك موجودات فوق طاقة البشر المادية , وحواس البشر محدودة بعالمه المادي المحض ، لا يمكن له أن يرى غير المادة مثله , وكل شيء مادي يمكن رؤيته بواسطة أو بغير واسطة , ولكن هناك موجودات تؤمن بها، وهي غير مادية, وهي فينا نحن , قال ما هي : ؟

قلت سائلا : ما هو الفرق بين العاقل والمجنون ؟ .

قال : الإدراكات العقلية , والحواس العصبية والنفسانية .

قلت : هل تستطيع رؤيتها بعينيك ؟ .

قال : لا : قلت : هل تؤمن بوجودها . ؟ .

قال : نعم , لأنني أحس بآثارها في ذاتي ونفسي ..

قلت : ألا تحس في داخلك أنك تؤمن بمن أودع فيك هذه الحواس لتحس بها , والشعور لتشعر به , وأن هذه الموجودات من حولك لها موجد وصانع , ألا تعتقد بضرورة الإيمان بوجوده . ؟

قال : نعم , صدقت وفهمت , وأشهدك والحاضرين أنني آمنت .
ولكن لماذا لا يمكن لنا رؤية هذا الخالق العظيم ؟ .

قلت : الهواء نحس به ونشعر به ونؤمن بوجوده ولكننا لا نراه , لكونه يختلف في تركيبه عن قدرات حواسنا البصرية , وقد خصص الله لنا بعض الحواس لنحس بالهواء بقدر حاجتنا إليه , ومنحنا الله الإدراكات العقلية , لنفكر بذات الله وصفاته وآثار مخلوقاته الدالة على وجوده لنهتدي إليه , ثم اختار من بيننا , من نثق بهم وبصدقهم لينقلوا إلينا رسائل الله , وعليك أن تكثر تلاوة القرآن الكريم , تجد فيه بغيتك بما فيه من الأدلة على وجود الله وقدرته , وتجد فيه نماذج من عظمة قدرة الله في تنظيمه لهذا الكون الدالة على وحدانيته سبحانه . وهذه بعض الأمثلة أذكرها هنا سائلاً المولى سبحانه أن يهدينا السبيل .

:

1 - الكرة الأرضية التي نعيش عليها ، إن حجمها ، وبعدها عن الشمس ، ودرجة حرارة الشمس وأشعتها الباعثة للحياة ، وسمك قشرة الأرض ، وكمية الماء ، ومقدار ثاني أكسيد الكربون ، وحجم النروجين ، وظهور الإنسان ، وبقائه على قيد الحياة ، كل ذلك يدل على نظام دقيق ، بعيد عن الفوضى ، وعلى التصميم والقصد ، كما يدل على أنه تم بقوانين حسابية دقيقة ، ومن المستحيل أن يكون حدوث ، كل ذلك مصادفة ، في وقت واحد على كوكب واحد ..

2 - إن الأرض تدور حول نفسها في كل (24 ساعة) مرة واحدة ، بسرعة ألف ميل في الساعة ، . فلو تأخرت مائة ميل في الساعة عن هذه السرعة ، لتضاعف طول الليل والنهار إلى عشرة أضعاف ، ولو زادت في السرعة مائة ميل في الساعة ، لنقص الليل والنهار ، إلى عشرة أضعاف .

3 - ولو تناقص شعاع الشمس إلى درجة ونصف مما هو عليه الآن ، لمات كل حي على وجه الأرض بالبرودة .

4 - ولو نقصت المسافة بين الأرض والقمر خمسين ألف ميلاً ، عما هي الآن ، لغمرت المياه بالمد والجزر الأرض ، مرتين في اليوم ، بتدفق قوي هائل، تزيح بقوة تدفقها الجبال ، ولا نعدمت الحياة ، ولو حدث العكس لغارت المياه , مرتين بسرعة هائلة ، كذلك لا نعدمت الحياة .

5 - وأما الهواء الذي نحن أكثر حاجة إليه من غيره ، فهو يحيط الأرض بسمك بالقدر اللازم لمرور الأشعة الكونية ذات التأثير الكيمياوي ، التي يحتاج إليها النبات ، والتي تقتل الجراثيم ، وتنتج الفيتامينات دون أن تضر بالإنسان ..

6 - والإنبعاثات الغازية من الأرض طول الدهر ، معظمها سام ، فإن الهواء باق دون تلوث في الواقع دون تغيير في نسبته المتوازنة اللازمة لوجود الإنسان ، والهواء الذي نستنشقه مكون من غازات مختلفة ، نسبة النتروجين الموجود فيه / 87 / في المئة ، ونسبة الأكسجين 21 في المئة ، وباقي الغازات الأخرى واحد في المئة ، فلو زاد الأكسجين إلى نسبة خمسين في المئة ، لأصبحت جميع المواد عرضة للاحتراق ، بأبسط برق يحدث في السماء ..

7 - ثم إن أوراق الأشجار ، أشبه برئة الإنسان ، مهمتها التنفس ، في حين أن الحيوانات تستهلك الأوكسجين ، وتدفع ثاني أكسيد الكربون .. والنبات يتنفس ثاني أكسيد الكربون ، فيما يطلق الأوكسجين في الفضاء . وهذا يعني لا يستغني أحدهما عن الآخر ، لو فقد وانعدم النبات مات الحيوان ، ولو فقد ومات الحيوان ، يبس النبات ومات ، فلا بد لكل جنس من وجود الجنس الآخر ..

هذا جزء يسير من عظمة نظام الله ، وهو دليل على أنه لا يمكن أن يكون شيئاً مصادفة ، دون موجد ، وهذه الموازنات الدقيقة التي تحفظ الحياة والوجود دليل على وجود الله ووحدانيته سبحانه

.. وهذا أعرابي بسيط يعيش في صحراء يرعى الإبل ويسعى في إطعامها قال : (البعرة تدل على البعير والأثر يدل على المسير ، وهذا الكون بسمائه وأبراجه ألا يدل على اللطيف الخبير) ..
وقد أثبت العلم كثيراً من مظاهر نظام هذا الكون العظيم ، الذي يقف العقل السليم أمامه مؤمناً بخالقه ومبدعه ، عابداً له مستسلماً لعظمته و قدرته سبحانه وتعالى عما يصفون ..

إن الفطرة تتفق مع العقل ، ويساندها المنطق السليم ، وسرعان ما تصحو من غفلتها ، إذا جاءها الحق وشع لها النور الإلهي ..

اللهم إننا نشهد أنك الله الواحد ، والخالق المبدع في كل ما صنعت وخلقت ، ونحن عبادك الضعفاء فاهدنا إليك وجعلنا هادين مهديين ، ولا تجعلنا ضالين ولا مضلين ..